الأدب الشعبي الجزائري في ميزان المناهج الحداثية و ما بعد الحداثية -دراسة في نقد النقد-

Algerian popular literature in the balance of modernist and postmodern approaches - A study in criticism of -criticism

د أسماء العايب

جامعة الجزائر 2(الجزائر)

الملخص:

يسعى هذا البحث لرصد عينة من الدراسات النقدية الجزائرية في ميدان الأدب الشعبي والتي رسمت ورصدت مسار تطور هذا الأدب، وكذا التعرف على الأنساق البنائية و الثقافية المشكلة له هذا النوع الأدبي الذي يمثل الهوية العميقة للجزائر كبلد يميزه التنوع الثقافي والفكري، وسنتطرق في بحثنا هذا لمدارسة ووصف وتحليل مجموعة من الدراسات النقدية الجادة التي اشتغلت وفق المنهج البنيوي والسيميائي وكذا مقولات النقد الثقافي في دراسة الأدب الشعبي الجزائري لننظر في مدى تمثلها لهذه المناهج، وكذا أهم النتائج التي توصلت إليها والجديد الذي وجدته في خضم التراكمات النصية والنقدية الحاصلة في نطاق الأدب الشعبي الجزائري.

الكلمات المفتاحية: أدب شعبي، نقد النقد، مناهج نقدية، دراسات نقدية.

Abstract:

This research seeks to observe a sample of Algerian critical studies in the field of popular literature, which charted and monitored the path of development of this literature, as well as to identify the constructive and cultural patterns that have formed this literary genre which represents the deep identity of Algeria as a country characterized by cultural and intellectual diversity. In our research, we will discuss, describe and analyze a group of serious critical studies that worked

according to the structural and semiotic method, in addition to the categories of cultural criticism in the study of Algerian popular literature. In order to see the extent to which they represent these curricula, as well as the most important results that they have reached, and what is new that I found in the midst of the textual and critical accumulations taking place within the scope of Algerian popular literature.

Keywords: *Popular literature, Criticism of criticism, Critical approaches, Critical studies*.

*** *** ***

مقدمة:

الأدب الشعبي هو ذلك الأدب الذي يحمل خصائص فنية وقيمة معنوية كتب بلغة عـــامية قريبة من لغة الشعب، وأحـــاديث أفراده اليومية التي يتداولونها، وهو أدب يستغرق مظاهر الحياة الشعبية، ويصورها تصويرا دقيقا، فيعبر عن احتياجات فئات مختلفة من المجتمع، ويصور وجدانهم واهتماماتهم وهمومهم وأحلامهم هذا الأدب الذي يستوي مع غيره من الأدب في نواحيه الجمالية وخضوعه للمنطق الفني واللغوي والقول بأنّه أدب شعبي لا يعني أن الشعب جله شارك في إنتاجه وتشكيله، وإنّما فئة محددة من المبدعين والحكماء الذين تركوا إرثا يتداوله عامة الشعب، وهاهو الأدب الشعبي الجزائري يحصل على الاعتراف والتقدير من قبل النقد الجزائري الذي وضعه تحت منظار البحث والتحليل دون تفريق أو تمييز بين ثنائية شعبي/ راقي، لنطرح من خلال بحثنا هذا مجموعة من الإشكاليات والأسئلة تشكل متن البحث وتغنيه فنتساءل بالقول:

- كيف أخذ الأدب الشعبي حظه من الاهتمام وارتقى إلى مصاف الدرس النقدي الحداثي؟
- من هي أبرز الأسماء النقدية الجزائرية التي انتهجت النهج الحداثي و ما هي أبرز المؤلفات في هذا المضمار؟
- إذا ما اعتبرنا الأدب الشعبي واحدا من الخطابات التي همش لسنوات عديدة فما نصيبه من الدراسات النقدية ما بعد الحداثية التي تحاول رد الاعتبار لأدب الهامش وكيف تعامل معه الباحثون الجزائريون من منظور ما دعى بالنقد الثقافي؟

وسنجيب عن مجموعة هذه الأسئلة وفق نهج وصفي تحليلي مع التقيد بالترتيب التاريخي لظهور تلك البحوث والدراسات الجزائرية المهتمة الأدب الشعبي.

1-الأدب الشعبي تحت ضغط التهميش:

يصاغ هذا الأب ويولد على أعتاب الأزمنة المتواصلة فيرصد حكمة وخبرة أعيان القوم وحكمائهم ومبدعيهم، تتوارثه الأجيال وتحفظه، فالأدب الشعبي الجزائري تعبير"عن مشاعر الشعب وأحاسيسه...إذن هو الأدب الذي يصدره الشعب

[1] فهو في حقيقته أدب «يحاول الغوص إلى نظام اللغة، وكل نوع من أنواع الإنتاج الأدبي الشعبي مثل الحكاية الخرافية، الأسطورة الكونية، الأساطير، الأخبار ...إلى غير ذلك، إنّما يهدف إلى تفسير جانب من جوانب الحياة ولهذا فإنّها تعدّ جميعا من صنيع العقلية المفسرة القادرة على استغلال اللغة في كلتا وظيفتيها وهما الخلق والتفسير»[2]

فالأدب الشعبي بكل أنواعه وأجناسه إرث الأجيال المختلفة، ومنبع الشراكة الثقافية والهوية الجمعية لكل قوم رغم نظرة الإنكار التي سادته أزمنة طويلة «نظرا لما تسلّل من مخلفات المعتقدات الموروثة القديمة ممّا لا ينضبط انضباطا كاملا مع الرؤية الدينية فالمأثورات الشعبية بطبيعتها تبيح لنفسها من الحرية في القول والفعل ما يخالف الكثير أو القليل من سليم القول و الفعل عند رجال الأخلاق»[3] وهذا

ما عرّض هذا الأدب لنوع من التهميش فقد حاول «كمصدر من مصادر الثقافة و الإنتاج الأدبي ونظروا إليه نظرة إزدراء تحط من قيمته الفنية والأدبية والجمالية، بل اعتبره بعضهم خطرا يستقطب اهتمام جماهير الشعب ...وكانت كل محاولة لإدخال فن من الفنون الشعبية في مجال الاحتراف محاولة مشبوهة»[4]

وهذا ما انطبق على الأدب الشعبي في الأقطار العربية المختلفة والجزائر واحدة منها، و لم يلق هذا الأدب الاهتمام إلا في فترات متقدمة من التاريخ المعاصر" ... ونحن في زمن يحوجنا إلى شرارة كل إبداع أصيل و إلى كلمة نابعة من أعماق الذاكرة الجماعية»[5] «فهو مرآة ودليل، ولاشك في أنّ له دورا مهما في استمرار الوجود، وفي المحافظة على الروح القومية الجماعية وذلك بتمجيد البطولات وترسيخ العادات، وتاريخ الحوادث، وفي كل هذا إثارة ... ويتميز الأدب الشعبي عن غيره في أنه أوسع انتشارا وأسرع تداولا على ألسنة الناس يحاورهم ويثيرهم و يلازمهم في سهراتهم وأعراسهم»[6]فهو حامل لصنوف التنوع الثقافي يحكي ذاكرة الجزائر المثقلة بالتاريخ خاصة تاريخنا الأمازيغي الذي عانى من نفس النظرة و صنف الأدب الذي كتب في إطاره كغيره بكونه أدبا هامشيا لكنه في الحقيقة إرث هوياتي مهم.

ويعبر عن هذا قول الدكتور **حميد بوحبيب** وهو واحد من كبار الباحثين الجزائريين الذين سلطوا الضوء على الأدب الشعبي الأمازيغي إذ يؤكد أنّ «الثقافة الأمازيغية عانت قرونا من التهميش والنسيان يضاف إلى ذلك انعدام جسور التواصل بين اللغة العربية والثقافة الأمازيغية على الصعيد الأكاديمي، إذ يوجد نوع من اللعنة التاريخية التي قصرت الاهتمام بالأمازيغية على الصعيد الأكاديمي على الفرانكوفونيين طيلة سنوات، وهو الأمر الذي ولّد في نفوسنا رغبة جامحة في تدارك الأمر كي لا يطول التصدع بين بنيتين أساسيتين في تكوين هويتنا ألا وهما العربية و الأمازيغية، إذ ليس من المعقول أن يترجم السي محند أومحند إلى الهولندية، ويبقى مجهولا لدى طلبتنا الذين يردّدون أسماء شعراء عالميين أمثال لوركا و نيرودا»[7]

فالناقد الجزائري **حميد بوحبيب** واحد ممن عقدوا العزم على جمع وتنقيح ودراسة هذا الأدب الذي يشكل جزءا عظيما من الهوية الجزائرية التي تعاني اليوم من أزمات حادة في سياق التيارات الفكرية والثقافية التي تتسارع في الظهور والانتشار في خضم العولمة التي تمحي كل ما هو أصيل، مما جعل النقاد الجزائريين يسارعون إلى جمع وتمحيص ودراسة هذا الأدب وفق منظورات نقدية حداثية تمنحه المكانة التي تليق به.

2-الأدب الشعبي الجزائري تحت منظار النقد الحداثي:

عرف الأدب الشعبي الجزائري اهتماما من قبل النقاد الذين تأثروا بمقولات النقد الحداثي فلم يبق هذا الأدب في خانة الهامش، وإنّما خضع لمجموعة من المناهج على اختلاف أنواعه وصنوفه، فجاءت محاولات ثلة من الباحثين الجزائريين الذين سعوا لتخليص النقد الدائر حول الأدب الشعبي من الإنطباعية والمباشرة وغياب المنهج.

فعندما نستطلع الجهود الأولى في ميدان دراسة الأدب الشعبي «نجدها اعتمدت على جمع المادة وتصنيفها رغم أنها حفظت التراث الشعبي الجزائري من الاندثار والضياع مثل ما قام به المستشرق سونك أثناء الاستعمار الفرنسي حيث قام بجمع الأشعار والمدائح الشعبية في مؤلف تحت عنوان "**الديوان المغرب في أقوال عرب إفريقية والمغرب** " الذي ترجمه وعلق عليه الدكتور **أحمد لمين** رحمه الله يضاف إليه الدراسة التي قام بها **أحمد الطاهر** في موسيقى وإيقاع الشعر الشعبي الجزائري ، والجهد الذي قدمه **التلي بن الشيخ** و**عبد القادر عزة**، و**مولود معمري**، و**محمد بخوشة**، وغيرهم كان همّهم جمع التراث الشعبي وإظهاره للمتلقي وإخراجه من الكراريس و المداشر والقرى والصحاري، إلى التدوين والحفظ وتقديمه للدرس النقدي»[8] لتعدّد بعد ذلك أساليب تحليل الخطاب الأدبي الشعبي"بتعدّد هذه المناهج التي تختلف في منطلقاتها ومفاهيمها و مصطلحاتها .

لتشكل الدراسات الشكلانية الروسية منعطفا جديدا نحا بالدراسة الأدبية إلى محاورة النصوص في ذاتها، من ذلك نذكر ما حقّقه كتاب **فلاديمير بروب" مورفولوجيا الحكاية** من إنجاز كان له الأثر البليغ في توجيه بعض المناهج البنيوية و ميلاد أخرى ولذلك فقد حظي بجانب كبير من اهتمام النقاد الجزائريين من أمثال **عبد الحميد بورايو**، **حميد بوحبيب**، **محمد عيلان**، **ليلى روزولين قريش**، **فاطمة الديلمي**، **حامدة ثاقبايت** وغيرهم من الباحثين الذين أخضعوا هذا النوع من الأدب لمقولات النقد وطرائق البحث المنهجية العلمية بغية استكناه أغواره ومعرفة التّشكلات الخطابية والأسس البنيوية والدلالات السيميائية، وكذا الأنساق الثقافية التي يحملها هذا الأدب .

من أوائل ما كتب في النقد البنيوي للأدب الشعبي الجزائري مؤلفات الأستاذ الدكتور **عبد الحميد بورايو** وهو رائد هذا الميدان بلا منازع تكوّنت على يده أسماء لمعت في التخصص نفسه بعد ذلك، و ما هذا إلا نتيجة الجدية والصرامة والعمق الذي تميز بهما عبد **الحميد بورايو** في هذا الميدان ومن أهم ما كتب بورايو في هذا (**القصص الشعبي في منطقة بسكرة –دراسة ميدانية**-، وكان ثمرة مجهود ميداني قام به في المنطقة ، ونقد تمثل في جمع ودراسة المادة المتعلقة بالقصص الشعبي سنة 1986[9]

تطرق **عبد الحميد بورايو** في الجانب النظري من الكتاب إلى البنية التركيبية التي يمكن الكشف بها عن الهيكل البنائي للقصص، وكذلك معرفة طبيعة علاقاتها على مختلف المستويات المورفولوجية والتركيبية والدلالية"[10]

يعتمد بورايو في تحليلاته على المقولات النقدية التي جاء بها كل من غريماس ، ليفي ستراوس ، تودوروف فيحضر نموذج تودوروف الذي يتكون من خمسة وضعيات ، كما اعتمد على المعادلة الرياضية التي جاء بها ليفي ستراوس، واستعمل كذلك مصطلحات خاصة بغريماس مثل: الراسب التطوري" اعتمد بورايو أيضا الأعمدة البيانية في تحليله، كما قام بتوضيح الشخوص والأدوار حتى الرمزية منها في شكل مخططات بيانية[11].

أما كتاب " **الحكاية الخرافية للمغرب العربي ، منطق السرد، مدخل إلى**

السيميولوجيا قدم فيه دراسة وتحليل لمجموعة من الحكايات باعتماد منهج حديث وقد صدر الكتاب سنة 1992، قدّم فيه دراسة في القصة الجزائرية يتوخى من خلالها إبراز الخصوصيات التي تميز السرد القصصي الجزائري، وقد صدر سنة 1994، كما وسّع في دائرة البحث إلى نطاق الأدب الشعبي العالمي في كتابه " التحليل السميائي للخطاب السردي دراسة في حكايات ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة "[12]، وقد استمد عبد الحميد بورايو منهجه في الدرس والنقد من «منجزات الدراسات الحديثة، والمرتكزة على البحوث الشكلانية والبنيوية و الإناسة، مراعيا خصوصية المادة موضوع الدراسة وكاشفة عن علاقاتها بالمحيط الثقافي»[13] كما لم يغفل عبد الحميد بورايو أنواعا أدبية أخرى كالمثل الشعبي والذي انتهج في دراسته مقاربة «تهدف للوقوف على هذا النوع الأدبي الشعبي على الطريقة الجمعية الواصفة أو التطلع في بنيته التركيبية اللغوية ، بل في سلطته الاجتماعية وأبعاده الحضارية لأنه يمثل أحد مرتكزات الفولكلور (التراث الشعبي) وذلك بتوظيف آليات الأنثربولوجيا التي تهدف إلى استقراء مواد التراث الشعبي قراءة تربطها بتطور الإنسان وظروفه الاجتماعية ومدى مساهمة هذا الفن في صيرورة المجتمع »[14]

وبهذا نجد أن بورايو يخضع كل نص لما يتناسب معه ولا يلوي عنقه ، فيستعين بكل الإجراءات النقدية التي يحتاج إليها أثناء عملية التحليل، في أغلب تطبيقاته النقدية يشرح كيفية التعامل مع النصوص الأدبية بطريقة واضحة ودون تعقيد ومع الحفاظ على جوهر المتون النقدية و خلاصة النظريات الحداثية في النقد ، فتح بورايو مجال البحث والتطبيق على أنواع أدبية شعبية تتيح لتكون جهوده نقطة تحول و بداية رائدة في مجال الدراسات الأدبية الشعبية الجزائرية .

ومن الجهود «التي عاصرت جهود الدكتور بورايو وسعت إلى تبني نظرة جديدة وهي تطبيق المناهج الحداثية على التراث الشعبي يضاف إليها مهمة الجمع والتديون»[15] جهود الباحث الجزائري **خالد بنسعيد عيقون** التي اخترنا منها دراسته الموسومة "**التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات الخطاب السردي الوظائف الشخوص الزمكان، الصور والدلالات دراسة لحكايات من الأدب الشعبي الجزائري (البطل علقمة و لأميرة شميسة، البطل عل بوعكاز والعمالقة الثلاث)" والذي** طبع سنة 2006، ويعتبر الكتاب إضافة في مجال الجمع والبحث في التراث الشعبي الجزائري وفقا للمعايير العلمية ،فقد اعتمد على بعض مقولات النقد السميائي وبالذات «المقياس الفاصل الذي اقترحه قريماس في بحثه العلامي المعتمد بالدرجة الأولى على المعيار الزمني، ثم اختلاف الشخصيات والأماكن كما عالج نص القصة وفق منظورين — دراسة المسار الوظائفي والبنية الفاعلة علن بالتركيز على الوظائف الأساسية والكشف عن العلاقات التي تربطها مستوى كل مقطوعة - دراسة البنى الزمكانية واللغوية والصور على مستوى الحكاية ككل كتأسيسها على الثنائية أو الثلاثية ، وارتباطها ببعضها البعض بعلاقات استتباع أو تكرار وغيرها ليستنتج المثال الوظائفي في كل حكاية ويعتمد ظهور الشخصيات على علاقات الاستبدال والتضاد، والتوافق وهي تقدم نفسها من خلال

ما تحدّده من قيم مع ربطه للمكان بغيره حسب علاقات الموافقة، والوساطة والمخالفة، كما قام بدراسة الصور ودلالاتها ، ركّز على أكثرها تأثيرا في مسار النص»[16] كما قام الباحث بدراسة تحليلية لنموذجين ممثلين للمدونة وتوسع في تشريحهما مستعينا بمنهجية مستمدة من البحوث السردية المعاصرة ذات الطابع الشكلاني البنيوي ، وقد وفق إلى حد بعيد في إبراز الخصائص الدقيقة لمكونات كل نموذج ووصف طريقة تركيبه اعتمادا على تفكيك عناصره في مختلف المستويات الشكلية والبنائية كما يكشف عن ممارسة متميزة لطرق الدراسة والتعامل مع النصوص الشفوية، ونجد اعتمادا واضحا من قبل الباحث على كتاب مورفولوجيا الخرافة لفلاديمير بروب ودراسات ضمنية لكل من ليفي ستروس و ريفاتير ممن استفاد منهم ضمنيا .

كما نجد دراسات أخرى اعتمدت على مقولات حداثية من قبيل الشعرية الصورولوجيا وهذا ما قدمه كل من الباحث أحمد خياط، "**الأمثال الشعبية على ضوء الكتاب والسنة النبوية**" 2009 **امحمد جلاوي**، "**التراث والحداثة في أشعار لونيس آيت منقلات**"2007" "**كتاب الشعرية المنسية**" – **بحث في آليات النظم في الشعر الشفوي**" للدكتور **حميد بوحبيب** والذي يقع في 220 صفحة احتوى مباحث حول الشعرية الشفوية، والمنظومة الاصطلاحية الشفوية ، وأهم الأنماط الشعرية الشائعة في الشعر الشفوي القبائلي، فضلا عن فصلين متعلقين بأشعار ما وراء القضبان ...أي شعر السجون ... وغيرها من المؤلفات التي سلطت الضوءء على الأدب الشعبي وفق مناهج نقدية علمية حداثية.

3- الأدب الشعبي الجزائري في سياق النقد ما بعد الحداثي (النقد الثقافي) :

لا شك أن تحولات الحداثة وتوابعها التنفيذية كانت بمنزلة تمهيد لمرحلة قادمة، ويؤرخ بعض المختصين لظهور هذه المرحلة بظهور (التفكيكية) وتردُّد مقولات (دريدا) عن تجدد المعنى النصي مع كل قراءة ما بعد الحداثة " قيمة للثقافة داخل النصوص اللغوية من خلال إعادة علاقة الذات مع اللغة لأنها غير مفصولة عنها، وليست بريئة منها كما فعلت البنيوية بإهمالها للذات وقدرتها على استعمال اللغة "[17] هذا الفكر الذي منح الثقافة عناية خاصة ونظر إلى النصوص على أساس كونها خطابات ليكون التحول المنهجي مبنيا على "آلية التداخل مؤسسين بذلك مستويات جديدة للتحليل ومنافذ مغايرة للإجراء بغية تقديم طرائق معاصرة لفهم الأدبية، وتأسيسا على هذا الطرح جاء النقد على مستويات مختلفة فاتسعت بذلك دائرة النقد من نقد للنص، إلى نقد ثقافي كوني، ...شامل عام"[(18)]"فإذا كان الأدب والأدبية هما مادة النقد الأدبي وموضوعه عبر مراحل زمنية ممتدة، فإن مرحلة ما بعد البنيوية ...تؤسس لمقاربة مغايرة-النقد الثقافي الذي يختلف عن النقد الأدبي، الذي كان يعنى بالأدبية فإن هذا الاتجاه يعنى بما وراء الأدبية من: أنساق وشفرات وأبعاد لاشعورية[19]

فالنقد الثقافي يعني التوسع في مجالات الاهتمام والتحليل للأنساق[20] ودراسة الأعمال الهامشية التي طالما أنكر النقد الأدبي قيمتها وأهميتها، لأنّها لا تخضع لشروط الذوق النقدي، إذ أخذ التفكيك في كل شيء فالنقد الثقافي هو "تدمير لكل ما

هـــو ثقـــافي علـــى قاعـــدة المغـــايرة والاخـــتلاف"[21]فهـــو بـــذلك "ينتقـــد البنـــى الثقافيـــة الســـائدة تمهيـــدا لتحـــديثها وجعلهـــا مطابقـــة أو متوائمـــة مـــع الســـياق الـــذي آلـــت إليـــه حـــديثا النقض/النقد/التحـــديث، وإعـــادة النظـــر فـــي المقـــروء الســـابق النصـــي[22] ومـــن ثمـــة مســـائلة نصـــوص التـــراث ، كمـــا أن النقـــد الثقـــافي يهـــدف إلـــى تنـــاول موضـــوعات تتعلـــق بالممارســـات الثقافيـــة، وعلاقتهـــا بالســـلطة وتـــروم مـــن وراء ذلـــك اختيـــار مـــدى تـــأثير تلـــك العلاقـــات علـــى شـــكل الممارســـات ، كمـــا يـــدعو إلـــى قـــراءة كـــل النصـــوص الثقافيـــة ويـــرفض الحـــدود الوهميـــة بـــين الأدب الراقـــي و الأدب الشعبي .

من بين أوائل ما كتب ضمن تلك الآليات المتسعة للنقد الثقافي في ميدان الدراسات النقدية للأدب الشعبي دراسة الباحثة الجزائرية **فاطمة ديلمي** في مؤلفها **"لعبة البوقالة، الطقس، الشعر، المرأة"** إذ قدمت لهذا النوع من الأدب الشعبي النسائي قراءة خاصة في إطار النقد الثقافي، قبل ذلك استهلت الدراسة بوقفات قامت خلالها بتعريف البوقالة، وعرض لتطورها"[23]

هـذه اللعبـة التـي تتبعـت **ديلمـي** رحلتهـا الطويلـة فيمـا يزيـد عـن 170 صـفحة عرضـت خلالهـا الإجـراءات الطقسـية للعبـة، ومراحلهـا وتناولـت بعـدها الشـروط التـي يجـب توافرهـا فـي مـن يمـارس اللعبـة، مـن شـروط نفسية.

وبعـدها تنتقـل **فاطمـة ديلمـي** إلـى الحـديث عـن الأصـول الأنثربولوجيـة للعبـة البوقالـة، تتحـدث فيـه عـن العناصـر الثقافيـة، ورحلتهـا المكانيـة، و الزمنيـة حيـث تعيـد فتحـدد إيتيمولوجيـا الكلمـة[24] كمـا تقصـت الدارسـة جـذورها التاريخيـة، مـن خـلال الأشـعار، الإشـارات التاريخيـة الطقـوس وتصـل فـي الأخيـر إلـى غمـوض هـذا التـاريخ وعـدم بيـان الأصـل التـاريخي وتنتقـل بعـدها إلـى الإحـالات الجغرافيـة[25] وبعـدها إلـى الأصـل الأنثربولـوجي للشـعوب المتوسـطية وطقوس العرافة .

تأخـذ فاطمـة ديلمـي مـن الصـفحة تسـعة وسـبعون بمقـولات للنقـد الثقـافي بشـكل مضـمر قبـل تصـريحها لتتبـين هـذه المقاربـة في الصفحة مئة وواحد (101).

فهـي تنظـر إلـى البوقالـة بوصـفها خطابـا هامشـيا لأنهـا مـن الأدب الشـعبي الـذي لا يرتقـي فـي نظـر الكثيـر مـن البـاحثين إلـى مسـتوى الأدب الراقـي أو الفصـيح كمـا أن مصـدر البوقالـة هـي المـرأة، التـي عانـت مـن التهمـيش منـذ عهـد آدم، وتوارثـت البشـرية ذلـك العـداء لهـذه الأنثـى التـي انتقلـت صـورتها النمطية صورة سلبية .

فالبوقالـة إذن ؛ خطـاب أدبـي شـعري نسـوي هامشـي أنتجتـه قـوى مواجهـة للمركـز فـالمرأة مقابـل للرجـل والأدب الشـعبي مقابـل الأدب الرسـمي ، هـذه البوقالـة التـي تحمـل دلالات متمـردة ومناوئـة للسـلطة، سـلطة المركـز فهـي تحمـل فـي طياتهـا تمـردا غيـر معلـن علـى الجماعـة"[26]فـإذا كـان شـعر البوقالـة هـو نتـاج الهـامش الـذي يناور النظـام ويتحـدى قيمـه، فـإنّ مـا فيـه مـن خضـوع هـو سـر إباحـة إقامـة طقـوس هـذه اللعبـة و سـيرورة هـذا الخطـاب، فلقـد أوجـدت المجتمعـات المحافظـة فـي كـل وقـت ميكانيزمـات التحكم

فـي كـل خطـاب منـاوئ وللرقابـة أرديـة متعـددة منهـا الجمـالي والـذي يـؤدي غالبـا وظيفـة ثقافيـة، هـي تقنـين المحتويـات النفسـية ولغـة التعبيـر عنهـا بهـدف إخضـاعها للشـرعية الجماعيـة[27] هـذه الشـرعية التي تمـنح للسـلطة قـوة جبـارة تجعلهـا متحكمـة في جـل الخطابات .

فـديلمي فـي مؤلفهـا هـذا تتبنـى مقـولات النقـد الثقـافي، وفـق طروحـات عبـد الله الغـذامي الـذي تبنـى بـدوره مقـولات ليـتش عـن كـون النقـد الثقـافي هـو كشـف عـن الأنسـاق الثقافيـة المتحكمـة فينـا والتـي فرضـت علينـا مجموعـة مـن الأفكـار والخطابـات **ديلمـي** إذن تشـير وتعلـن صـراحة، عـن اتجاهها هـذا فـي دراسـتها التـي تعـدّ مـن أبـرز الدراسـات الجزائريـة التـي اتخـذت مـن النقـد الثقـافي وسـيلة للإبحـار في واحـدة مـن ألـوان الأدب الشـفوي الشـعبي النسـوي، وهـذا مـا يتضـح مـن خـلال قولها ''...وهـدف دراسـتنا هـو السـعي للكشـف عـن أساليب المركز وحيل خطابه في التحكم في خطـاب الهـامش وتسـخيره وهـذا مـا جعلنـا نختـار شـكلا مـن أشـكال خطـاب الهـامش أي الشـعر الشـفوي النسـوي مـن خـلال البوقالـة وقراءته كخطاب ثقافي''[28]

لقـد ذهبـت الـديلمي بعيـدا فـي تقنيـات تحليلهـا وأسـاليب ربطهـا لهـذه الظـاهرة والغـوص مـن خلالهـا إلـى الأنسـاق المهيمنـة مـن وراء هـذه التناصـات فالنسـق الـذي هـيمن هـو نسـق الـذكورة فـرغم امتصاص نصـوص البوقالـة لرباعيـات عبـد الرحمـان المجـذوب إلا أنهـا أعـادت رسـم المركـز بكـل مواصـفاته فـالمرأة فـي خطابهـا ''البوقالـة'' لا تثـور رغـم بيـان الثـورة ولا تخـالف ولا تحـاول الفـرار مـن هيمنـة الـذكورة، إنمـا هـي خاضـعة خانعة تحاول نيل الرضى.

إن دراسـة الأسـتاذة **فاطمـة ديلمـي** للأنسـاق الثقافيـة المضـمرة مـن وراء نـص البوقالـة الجزائريـة التـي تتخفـى وراء جماليـات التنـاص هـي دراسـة رائـدة وجـادة اسـتطاعت الباحثـة مـن خلالهـا أن تقـوم بـربط الهـامش بـالمركز المـرأة بالرجـل والبحـث مـن خلالهـا علـى العلاقـة بـين كـل منهمـا هـذه العلاقـة التـي رأتهـا **ديلمـي** تعزيـز آخـر لسـلطة الرجـل وحفاظـا علـى هيمنـة وسـيطرته، وتدعيما لتعاليه وتقديسا لذكوريته.

فدراسـة الأسـتاذة **ديلمـي** هـي اهتمـام جزائـري محـض بواحـد مـن موضـوعات النقـد الثقـافي ومباحثـه، اسـتنطقت فيـه الأنسـاق الثقافيـة المضـمرة فـي البوقالـة الجزائريـة بوصـفها خطابـا شـعبيا ونـص هامشـيا، هـذا مـع قلـة الإشـارة إلـى المنـابع الأولـى الغربيـة للنقـد الثقافي .

إن دراسـة الأسـتاذة **فاطمـة ديلمـي**، ليسـت وحـدها فـي ميـدان تطبيـق مقـولات النقـد الثقـافي علـى الأدب الشـعبي وإنمـا توجـد محـاولات أخـرى، لكـن لا نعثـر عليهـا فـي كتـب مسـتقلة وإنمـا هـي مقـالات مبثوثـة فـي مجموعـة مـن المجـلات الأكاديميـة منهـا دراسـة للباحثـة الجزائريـة **حامـدة ثقبايـت** بعنـوان ''**النسـق الثقـافي للنكتـة والتواصـل الجمعـي فـي المجتمـع الجزائـري**''[29] وهـي فـي أصلها مداخلة تقدمت بهـا الأسـتاذة لليـوم الدراسـي حـول الـذاكرة الشـعبية الجزائريـة والإبـداع، نشـرت فيمـا بعد في مجلة ''الخطاب سنة 2012.

تعـالج **حامـدة ثقبايـت** نصـا مـن النصـوص التـي نـوه إليها النقـد الثقـافي خطـاب

شفهي من الخطابات التي يتداولها المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات البشرية وهو النكتة الشعبية، مشيرة في البداية إلى أهمية التراث الشعبي للمجتمعات الإنسانية وقيمته في تشكيل وبلورة هوياتها ومدى تفاعل هذا النوع من الأدب مع ثقافة المجتمع، والغوص في أنساق الثقافة التي تنتج وفقها تلك الخطابات[30] وقد قسمت الباحثة دراستها إلى خمسة محاور عنونتها كالتالي:النسق الثقافي المفهوم والإجراء، البعد التلميحي في خطاب النكت، بنية السرد في خطاب النكت، النكت والدلالة الثقافية، النكت والنسق التصوري.

إذ افتتحت الحديث في المحور الأول عن مفهوم الثقافة و النسق الثقافي لتعود للحديث عن النكتة وآليات التأثير في الخطاب التنكيتي[31]

أما المحور الثاني من الدراسة والذي ركز على البعد التلميحي في خطاب النكت، بإدراجها لبعض الأمثلة وقبل ذلك عرفت بالنكتة وأنواعها ، وتدعم الباحثة رؤيتها هذه بمجموعة نماذج تؤكد أن التلفظ بالنكتة وتبعا لسياقاتها تقوم على النقد الساخر[32]، أما في محور البنية السردية والنكتة، فهي تفرق بين النكتة وأشكال تعبيرية شعبية أخرى كالخرافة اللمز...الخ، وتدعيم ذلك بنتائج البحث من خلال اشتغالها على الجانب الميداني، لتصل بعدها إلى لب الدراسة وأهم محور فيها: النكت والدلالة الثقافية، تفتح الأخير بحديثها عن مصادر إبداع الخطاب التنكيتي، ودور الثقافة في إنتاجها، فتدعم رؤيتها بإحدى النكت الشعبية التي تراها تدرجا في الخطاب من هدف الضحك والمزاح إلى أعماق الفكرة التي تحمل نقدا للسلطة[33] وتغوص بعد كل هذا في أعماق الأنساق إذ تنتقل في المحور الخامس إلى النكت والنسق التصوري، فهنا الحديث عن ارتباط النكتة بالإشتغال التصوري للذهن عن طريق آلية الاستعارة، التي تجعل المتكلم يسخر معارفه وتجاربه في محيطه لتغدو وبذلك أنساقا تنطلق منها خطاباته[34]

وتصل في الأخير إلى كون النكتة خطاب يخفي ورائه الكثير من الممنوعات والمحرمات، فالضحك والسخرية قناع لثقافة الممنوع والمحرم في المجتمع الجزائري الذي يميل إلى الفكاهة والضحك –حسب نتائج البحث الذي قامت به الأستاذة ثاقبايت.

الخاتمة:

إن هذه القراءات النسقية و الثقافية لكل من عبد الحميد بورايو و خالد بنسعيد و فاطمة الديلمي وحامدة ثاقبايت ما هي إلا عينات عن رغبة جامحة في رفع الأدب الشعبي الجزائري ودراسته، وتمحيصه و إبراز أهميته التي ستعيدنا إلى التقدير الحقيقي للمعطيات التاريخية والثقافية ومؤثرات القوى الاجتماعية في محاولة جادة لاستعادة القيمة الفنية والحضارية لمفردات أدبنا الشعبي الجزائري، لأن التاريخ نفسه ليس نسقًا متجانسًا من الحقائق، ومن ثم فهو مفسر غير جيد للأدب لكن الأدب الشعبي والرسمي معًا هما المفسر الأمثل

للتاريخ.. وهذه القراءة الثقافية للأدب الشعبي هي دعوة لاستكمال الرغبة والطموح الكبيرين من قبل الباحثين الجزائريين في الاهتمام بالتراث، ومراجعته واستنطاق المسكوت عنه في الأدب الشعبي الذي يحمل الكثير من الحقائق التي ينبغي مواجهتها بصراحة وقوة ووفق كل المناهج الحداثية منها وما بعد الحداثية التي تسلط الضوء على اختلاف المرجعيات والمنطلقات.

الهوامش:

[1] حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات إقرأ، لبنان، الطبعة الثانية، 1980، ص11

[2] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ، مصر ط1، دت، ص09 .

[3] فاروق خورشيد: الموروث الشعب، دار الشروق ، بيروت ، لبنان، ط1، 1991، ص7.

[4] المرجع نفسه ، ص 6.

[5] حميد بوحبيب: الغجري الأخير ، دراسة نقدية تحليلية لشعر سي محند أومحند، دار الحكمة، الجزائر ط1، 2007، ص7.

[6] نور سليمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط 1 ص192.

[7] حميد بوحبيب، المرجع السابق، ص7.

[8] عبد اللطيف هني :جهود الباحث عبد الحيد بورايو في دراسة الثقافة الشعبية الجزائرية المقاربة الأنثربولوجية للمثل الشعبي نموذجا، مجلة الخطاب، ماي 2013، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، ص40.

[9] العربي بن عاشور: إرهاصات الأستاذ عبد الحميد بورايو في سبيل الموروث الشفاهي، مجلة الخطاب ماي 2013، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو ، الجزائر، ص63

[10] عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة – دراسة ميدانية-، الجزائر، دط، 2007 ، ص 138.

[11] ينظر: المرجع نفسه ، ص:173 و ما بعدها.

[12] ينظر: العربي بن عاشور: المرجع السابق، ص 63.

[13] عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان ،1992، ص 130.

[14] عبد اللطيف هني : جهود الباحث عبد الحميد بورايو في دراسة الثقافة الشعبية الجزائرية المقاربة الأنثربولوجية للمثل الشعبي نموذجا، ص41.

[15] المرجع نفسه، ص40.

[16] ينظر: خالد بن سعيد عيقون: التحليل البنيوي ال التحليل البنيوي الشكلاني لجماليات الخطاب السردي الوظائف الشخوص ، الزمكان، الصور والدلالات دراسة لحكايات من الأدب الشعبي الجزائري (البطل علقمة ولأميرة شميسة، البطل علي بوعكاز والعمالقة الثلاث، مطبعة الزيتونة، تيزي وزو ، دط 2006،ص 6، 7، 61

[17] وسيلة سناني: "مظاهر التداخل الثقافي بين المنظور النقدي والمنظور السردي" (رسالة دكتوراه)، كلية الأدب واللغات، جامعة الجزائر 2، الجزائر 2013، 2014، ص77.

[18] مشتاق عباس معين: "معلمة الثقافة، انفتاح الحقول المعرفية"، علامات في النقد، ج50، م13، شوال 1424هـ، ديسمبر 2003، ص323.

[19] جميل عبد المجيد: نحو تحليل أدبي ثقافي، تجربة نقدية في قصيدة النثر وخطاب الأغنية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009ص8.

[20] عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جديد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007 ص15.

[21] ينظر: إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2013م/1424هـ، 2007م/1427هـ، ص139، 140.

[22] بشرى موسى صالح: بويطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط1، 2012، ص14.

[23] فاطمة ديلمي: لعبة البوقالة، الطقس والشعر والمرأة، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ، العدد7 سلسلة جديدة ، الرغاية، الجزائر د ط ، 2009 ، ص10.

[24] المرجع السابق، ص30-32.

[25] المرجع نفسه، ص35-37.

[26] المرجع نفسه ، ص60 -84 .

[27] ينظر: المرجع السابق، ص87.

[28] المرجع نفسه، ص102.

[29] المرجع السابق ، ص195.

[30] حامدة ثاقبايت: "النسق الثقافي للنكتة والتواصل الجمعي في المجتمع الجزائري"، مجلة الخطاب، العدد

الخاص بأعمال اليوم الدراسي pnr، الذاكرة الشعبية الجزائرية والإبداع، 6ماي 2012. مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري. تيزي وزو. الجزائر. ص193-194.5.

[31] المرجع نفسه ، ص197.

[32] المرجع نفسه، ص205.

[33] ينظر: المرجع السابق، ص211.

[34] ينظر: المرجع نفسه، ص212.